

## نماذج للصوت الحر والمقاوم Models for free and Resistive Sound

حسين حيمر

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، himeurhocine@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023-05-05

تاريخ القبول: 2023-01-01

تاريخ الاستلام: 2022-06-13

ملخص:

إذا أردنا البحث في العلاقة بين إدوارد سعيد وفرانز فانون فلا بد أن نفعل ذلك عن طريق المرور بأحمد إقبال الذي شكّل حلقة وصل بينهما تتيح استمرارية نموذج المثقف الناقد المرتبط بقضايا التحرر بمعناه الواسع، إن حضور فانون الفي فكر سعيد يظل هامشيا إن اقتصرنا على تتبع ما ورد عنه في كتابات إدوارد سعيد، أتى مترامنا مع اضطلاع سعيد بشكل متصاعد بدور سياسي . ومن هنا نتوقف عند ذلك التماس بين حياة كل من فانون وإقبال أحمد وإدوارد سعيد، ثلاثة رجال محملون بالتجربة الكولونيالية، اختاروا أن يلتقي وعيهم بتجارب أوطانهم بما اكتسبوه من معارف وخبرات في العواصم الكولونيالية، لتصب في تكوين مشروع ملهم للمثقف.

كلمات مفتاحية: إدوارد سعيد، فرانز فانون، أحمد إقبال، الكولونيالية، التحرر، المثقف.

### Abstract:

This article explores the relation between Frantz Fanon, Iqbal Ahmad and Edward Saïd, and their Common intellectual project. The article argues That Ahmad, who worked with Frantz Fanon in the ranks of the Algerian National Liberation Front and who was later to become Saïd' s friend and mentor, constituted a link between the two men. The article does not trace influence, but rather explores the aspirations and performance of these three third-world intellectuals who could draw on their colonial burdens and their rich experiences, creating an inspiring project of the oppositional intellectual.

**Keywords:** Edward Saïd, Frantz Fanon, Ahmad Iqbal, Colonial, Intelctual, Libération.

## مقدمة:

إننا إذا أردنا تناول العلاقة بين إدوارد سعيد وفرانز فانون لابد أن نفعل ذلك مروراً بإقبال أحمد الذي شكّل حلقة وصل بينهما تتيح استمرارية نموذج المثقف الناقد المرتبط بقضايا التحرر عموماً، والتحرر الوطني خصوصاً، إن حضور فرانز فانون في تفكير إدوارد سعيد يظل هامشياً إن اقتصرنا على تتبع ما ورد عنه في كتابات إدوارد سعيد، مغفلين الدلالة الأهم للاقترب التدريجي والمتزايد من مشروع فرانز فانون أي قراءة إدوارد سعيد لهذا المشروع، وتطلعه لمواصلته، وهو اقتراب أتى متزامناً مع اضطلاع إدوارد سعيد بشكل متصاعد بدور سياسي. ومن هنا فإننا لا نتناول حضور فرانز فانون في كتابات إدوارد سعيد، بل نتوقف عند ذلك التماس بين حياة فرانز فانون وإقبال أحمد وإدوارد سعيد، ثلاثة مفكرين محملين بوطأة التجربة الكولونيالية، اختاروا أن يلتقي وعيهم بتجارب أوطانهم بما اكتسبوه من معارف وخبرات في كبرى عواصم الإمبراطوريات الإستعمارية، في تكوين مشروع ملهم للمثقف.

فما هي أدوار كل من فرانز فانون وإقبال أحمد وإدوارد سعيد في مقاومة القوى الاستعمارية من أجل التحرر؟

ومما لا شك فيه بأن هذه الأصوات الحرة الثلاثة والمستقلة يفترض أن تقاوم المستعمر بالوسائل السياسية السلمية وخاصة مقاومته بالثقافة ورفض الوجود الاستعماري وأشكاله البشعة ومن ثمة فإن من بين الأهداف المرجوة من هذا العمل معرفة السبل الثقافية والسياسية التي استخدمت من المفكرين الثلاثة للتحرر من الثقافة الامبريالية وأنماطها ولإصابة الهدف كان لزاماً علينا الاستنجاذ بالمنهج التحليلي للوقوف على أفكارهم التي كافحوا بها بشاعة الامبراطوريات الاستعمارية الغربية. ومن زاوية أخرى فإننا اعتمدنا في دراستنا أيضاً على المنهج التاريخي لأن طبيعتها تتطلب الوقوف على التطور الفكري والثقافي في أبعادهما الزمنية المختلفة.

## 1. مبادئ المقاومة الثقافية:

## 1.1. علاقة أحمد إقبال وفرا نرفانون وإدوارد سعيد:

في عام 1968 التقى أحمد إقبال للمرة الأولى بإدوارد سعيد في الولايات المتحدة. كان أحمد إقبال يعطي المحاضرة الأساسية في ندوة نظمها العرب وكانت له مكانته لمشاركته في حرب التحرير الجزائرية ولمواقفه النشيطة في حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية وحركة مناهضة الحرب في فيتنام (Vietnam) التقى الرجلان فكان اللقاء بداية لصداقة امتدت العمر كله. وإذا أردنا معرفة العلاقة بين إدوارد سعيد وفانون فلا بد أن نفضل ذلك مروراً بأحمد إقبال لأن أحمد إقبال هو الذي نبه إدوارد سعيد لقيمة فانون فحسب ولأن أحمد إقبال كان بالنسبة لإدوارد سعيد مصدراً أساسياً من مصادر خبرته بالعالم الثالث وسجل حركاته الكفاحية لا يبخل عليه بنصح أو مشورة ويكاد يشكل له بوصلة سياسية من نوع ما بل لأن هذا الباكستاني النحيل الذي اشترك مع فانون في ثورة الجزائر وصادق إدوارد سعيد كان يشكل حلقة وصل تتيح استمرارية نموذج للمثقف الناقد المرتبط بقضايا التحرر عموماً والتحرر الوطني تحديداً (رضوى عاشور، 2005، ص 75).

وينبغي علينا إذا أردنا معرفة العلاقة بين إدوارد سعيد وفانون أن نتوقف عند هذه العلاقة النادرة في دلالتها ومفاهيمها والمهمة في عبرها بين حياة الرجال الثلاثة فانون وأحمد إقبال وإدوارد سعيد ثلاثة مفكرين محملين بآثار التجربة الكولونيالية "فضلوا أن يلتقي وعمهم بتجارب أوطانهم بما تحصلوا عليه من معارف وخبرات في العواصم الغربية لتنصب في تكوين مشروع فكري كبير للمثقف مهموم ومسكون بمخلفات الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى. يتعدى لقاء هؤلاء الرجال اللقاءات الشخصية المنفردة والجماعية وتلك الزمالة التي جمعت فانون بأحمد إقبال في صفوف جبهة التحرير الجزائري لعام أو عامين والصداقة التي ربطت إدوارد سعيد بأحمد إقبال لعدة عقود إلى تماس أعمق نجده في ذلك الرباط بين سير حياتهم وإنتاجهم والتواصل القائم بين مشروع كل منهم كأنه سلسلة في مشروع كبير واحد" (رضوى عاشور، 2005، ص 75).

## 2. فرانز فانون:

## 1.2. كتابات فرانز فانون:

كانت حياة فرانز فانون (1925-1961) حافلة ومعبرة ومؤثرة في تاريخ الكفاح ضد الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى التي عرفها القرن العشرين. ولد فانون في المارتنيك (Martinique) لأسرة يتيح لها عمل عائلها تعليم أولادها تعليما كولونياليا في المدرسة الفرنسية (رضوى عاشور، 2005، ص.75). وقد عبر فانون من البراءة إلى التجربة ومن وهم كونه فرنسا إلى التعرف على واقع العلاقات الاستعمارية في فرنسا يكتشف فانون لون بشرته السوداء والغربة الكامنة في هذا اللون والعنف العنصري فيكتب وهو في السابعة والعشرين من عمره كتابه الأول بشرة سوداء أقنعة بيضاء عام 1952 (Black Skin White Masks) وفي عام 1953 ينتقل فانون للعمل كطبيب نفسي في مستشفى البلدية جوان فيل (Joinville) المستشفى الشهير في الجزائر لعلاج الأمراض النفسية والعصبية ثم يترك عمله فيها بخطاب الاستقالة الشهير لما يقرب من ثلاث سنوات وضعت نفسي وبشكل كامل في خدمة هذا البلد وسكانه لم أوفر جهدا ولا اهتماما. ولكن ما جدوى الحماس والتفاني إن كان الواقع اليومي مجرد نسيج من الأكاذيب والخسة وازدراء الإنسان؟ وإن كان الطب النفسي هو الأداة الطبية التي تهدف إلى تمكين الإنسان من تجاوز غربته في البيئة المحيطة به فعلي أن أؤكد أن العربي غريب بشكل دائم في بلاده يعيش في حالة من الاغتراب المطلق لشهور عدة كان ضميري موقعا لسجال لا يغتفر انتهى بالعزم على ألا أياس من الإنسان أي ألا أفقد الأمل في نفسي (Franz Fanon, 1970, p.62) وكان رد فعل السلطات الاستعمارية الفرنسية المباشر على هذه رسالة فانون المتعلقة بالاستقالة هو طرده من العمل في الحومة الفرنسية ثم إنذاره بمغادرة الجزائر خلال 48 ساعة ولكن فانون كان قد انتقل فعلا قبل هذا ذلك أكثر من عام من تقديم استقالته إلى موقع آخر حيث انظم إلى جبهة التحرير الجزائرية ولكي لا يفقد الأمل في نفسه كان يعمل مع الثوار الجزائريين في قواعدهم المختلفة إذ نجد فانون رئيسا لتحرير الطبعة الفرنسية من جريدة المجاهد الناطقة باسم الثورة الجزائرية حيننا وممثلا لجبهة التحرير الوطني في أكثر من محفل دولي حيننا آخر ومكونا لحلقات الاتصال المتعددة بين جبهة التحرير الوطني والقوى التحررية وحركاتها في غرب أفريقيا حيننا ثالثا. ومن مقر فانون المؤقت في تونس أخذ ينتقل بجواز سفر تونسي باسم عمر إبراهيم فانون كان قد صدر في تونس يوم

1958/08/10 تنتهي صلاحيته في أوت 1963 (David Macy, 2001, p.358). وقبل عام ونصف من انتهاء صلاحية جواز سفره استقر فانون نهائيا في قبر حميم في الجزائر تنفيذا لوصيته التي كان قد أوصى بها من قبل. (رضوى عاشور، 2005، ص.76)

وخلف لنا فانون حكايته الفردية والاجتماعية والفكرية في آثار دونه مفكرون آخرون من بعد مماته منها ثلاثة كتب: بشرة سوداء أقنعة بيضاء 9521 العام الخامس للثورة الجزائرية 1959 والمعذبون في الأرض 1961 ومقالات متفرقة في جريدة المجاهد الجزائرية بعضها يحمل اسمه والبعض الآخر منها بدون توقيع ومقالات ومدخلات ثقافية وعلمية لم يجمع منه إلا القليل في كتاب رابع هو من أجل الثورة الإفريقية 1964. (Franz Fanon, 1970, p.57)

وما يركز عليه فانون في كتاباته يمكن ملاحظته في أربعة مواضيع أولا الآثار النفسية الجسيمة للوجود الاستعماري بما في ذلك عنصريته وثنائهما موضوع المقاومة ففي هذا الشأن يسجل فانون بعض الوقائع والملاحم والجدل الخلاق بين الثقافة التقليدية وما تشكله في حومة المقاومة الشعبية من عناصر ثقافية مستجدة ويعتمد فانون أساسا على خبرته في الحرب التحريرية الجزائرية وأما الموضوع الثالث فهو قضية الثقافة الوطنية وتكوين المثقف في البلاد المستعمرة التي تسعى لنيل استقلالها وفي المقام الأخير نجد موضوعات تتضمن سلبيات الحركات التحررية الوطنية وما يترتب عنها على صعيد الدول المستقلة حديثا وهذا بهدف التدخل لوقف تدهور هذه الحركات باتجاه استقلال لا يحقق الاستقلال وقيادات تستبدل بالمستعمر بسلطاتها المستبدة (رضوى عاشور، 2005، ص.76). ويبرز الموضوعان الأخيران في كتابه الثالث والأخير وهو كتاب المعذبون في الأرض الذي ولد ميتا بحيث حجته السلطات الاستعمارية الفرنسية وهو ينسخ في المطبعة كما منعت توزيعه ويجب الإشارة هنا أن المفكر الفرنسي جون بول سارتر هو الذي قدّم للكتاب. وكانت كتابات فانون جزءا لا يتجزأ من مساعي الشعوب المستعمرة للتحرر في الخمسينيات وفي مطلع الستينيات من القرن الماضي. (رضوى عاشور، 2005، ص.77).

## 2.2. مناهضة فرانز فانون للإستعمار:

وإذا حاولنا إعادة النظر في الصورة الاستعمارية الشهيرة والمعروفة وهي التي صورت (السير سيسيل رودس) وهو يقف فوق القارة الإفريقية مفتوح الرجلين الأولى فوق مدينة الكاب أو

الرأس الأخضر (Cap-Vert) في أقصى جنوب القارة الإفريقية والثانية فوق مدينة القاهرة في أقصى شمال القارة الأمر الذي يشير إلى أن القارة الإفريقية موحدة في ظل السيطرة الاستعمارية فإننا نلاحظ بأن فانون ابن جزر الهند الغربية وسليل العبيد المقتلعين من القارة الإفريقية يعود إلى مسقط رأس أسلافه لا بمنطق الحركة الصهيونية السوداء ليقوم بقلب تلك الصورة الاستعمارية. (رضوى عاشور، 2005، ص 77). حتى يتمكن من تمجيد جوهر الذات السوداء بل يعود فانون إلى شمال إفريقيا (الجزائر) للمشاركة في ثورتها المجيدة والعظيمة بتنظيمها وفعاليتها على المستويات المختلفة مع العلم بأنها الثورة التي واجهت إحدى أكبر القوتين الاستعماريتين الأكثر رسوخا وشراسة. ومن ثمة فقد قام فانون بتقديم رواية بديلة ومناقضة أي أنه قام بقلب الصورة للسير سيسيل رودس حيث وضع قدما في المارتنيك في تجربة الأفارقة الأمريكيين عموما والأخرى في الجزائر العربية المسلمة. (رضوى عاشور، 2005، ص 77).

إن تاريخ فانون وهو الشاب المارتينيكي من المفكرين الكبار في العالم الثالث واحد من منظري الثورات. أخذت بيده الحركة السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات ومطلع السبعينات القرن الماضي وتلقفت تجاربه وهكذا لم يعرف أحمد إقبال فانون من خلال زمالته في حرب الجزائر فقط بل على الأرجح أنه تعرف عليه وتقرب منه في أوساط الأفارقة الأمريكيين وحركة الحقوق المدنية وكان مثل باقي المشاركين والمساهمين في تلك الحركة يرى أحمد إقبال في كتابات فانون نبراسا يهتدى به. (رضوى عاشور، 2005، ص 77).

لقد ظل حضور فرانز فانون (Frantz Fanon) في كتابات إدوارد سعيد (Edward Said) هامشيا إذا اتبعنا ما ورد عنه في تلك الكتابات وأغفلنا الدلالة الأهم للاقتراب التدريجي والمتزايد من مشروع فانون. ونلاحظ بأن كتابات إدوارد سعيد المبكرة كانت خالية من أفكار فانون بالرغم من بعض الإشارات العابرة له هنا وهناك في كتاب سعيد الأول البدايات القصد والمنهج 1975 ففي المقابلة التي أجريت معه عقب نشر ذلك الكتاب بقي فانون غائبا في كتب إدوارد سعيد الأخرى لكن في مطلع الثمانينيات كثرت الإشارات لفانون في كتابات إدوارد سعيد المهتم بكتاب فانون الضليع المعذبون في الأرض (Les damnés de la terre)، حتى أصبح فانون واحدا من مرجعيات سعيد الفكرية حاضرا كنموذج بارز للمثقف المرتبط بدور كفاحي. توفي فانون عن عمر يناهز 36 عاما نقل جثمانه من مستشفى بواشنطن إلى قاعدة الثوار الجزائريين في تونس. وبداخل الأراضي

الجزائرية تمت مراسم الدفن. وليس هناك إشارة إلى أحمد إقبال الذي قاطع دراسته الجامعية ليلتحق بصفوف جبهة التحرير الجزائرية قد صاحب جثمان فانون أو بقي في القاعدة أو اقتضت مهامه في صفوف الثورة الجزائرية التواجد في مكان آخر وإنه لم يسجل أحمد إقبال تفاصيل تلك الأحداث ولا نعرف إن كان قد نقل تلك التفاصيل إلى صديقه سعيد في لقاءاتهما المنتظمة بنيويورك ولكننا نعلم أن أحمد إقبال انضم إلى صفوف جبهة التحرير الجزائرية بين عامي 1960 - 1963 وعمل مع فانون وكان عضوا في وفد مفاوضات استقلال الجزائر في مدينة ايفيان.

### 3. أحمد إقبال:

#### 1.3. نشأة أحمد إقبال:

كان إقبال أحمد (1933- 11 مايو 1999) - { وليس محمد إقبال 1877- 1938 شاعر الشرق وفيلسوف الإنسانية} - عالماً سياسياً، وكاتباً، وأكاديمياً باكستانياً معروفاً بنشاطه المناهض للحرب، ودعمه لحركات الممانعة العالمية والأكاديمية، ومساهمته في الدراسات التي تتناول الشرق الأدنى. وُلد في بهار في الهند البريطانية، هاجر أحمد إلى باكستان في طفولته ودرس الاقتصاد في كلية فورمان كريستيان. عمل لفترة قصيرة ضابطاً في الجيش بعد تخرجه، وأُصيب في الحرب الباكستانية الهندية الأولى عام 1948.

لقد تعلق الطفل أحمد إقبال بغاندي دون انتماء له كل الانتماء وبدون أن يستوعب كل دروس المهاتما غاندي فهو لا يدري في براءته إن كان عليه أن يفتح قلبه لدرس المهاتما غاندي أو يغلقه في وجهه وإن انتبه لشخصيته الأسرة ولمحبة جاذبة لكل من يقترب منه لا يخشونه بل يحبونه ويتبعونه (Bits online/ net/ Iqbal/ biography/ asp 7/2/2014)، وبتصاعد الاضطرابات الطائفية وبداية الهجرة الجماعية للمسلمين إلى دول أخرى وخاصة منها أمريكا ومع إنشاء دولة باكستان تبع أحمد إقبال أخاه الأكبر منه سناً إلى الدولة الجديدة أما الأم فقد رفضت مغادرة البلد الأصلي الهند. (رضوى عاشور، 2005، ص77).

تبدو لنا عدم أهمية هذه التفاصيل في البداية وخارجها عن موضوعنا ولكن يمكنها أن تفسر لنا انتماءات أحمد إقبال العميقة لثقافته وللعالم الثالث وفي ذات الوقت فهو من بين المقيمين في مكان آخر (الولايات المتحدة الأمريكية). وهو يعي كل الوعي بأن مكانه هناك أيضا على الجانب الآخر من الحدود الباكستانية وهو الهندي الباكستاني المسلم ولغته الأردية له تراث ممتد في الثقافة الفارسية وهو عربي الهوية والدراسة والتجربة ومن المدرسين في الولايات المتحدة وهو الذي قاطع دراسته للالتحاق والمشاركة في الثورة الجزائرية وتسببت مواقفه أثناء حرب 1967 تجنب الأساتذة الأمريكيين له وعزلته داخل الجامعة التي كان مدرسا فيها وجلب له نشاطه في معارضة الحرب في تهمة ملفقة مفادها بأنه حاول مع اثنين من القساوسة بخطط هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق ثم برأته المحكمة فيما بعد من التهمة. يساهم أحمد إقبال باستمرار بقلمه ومواقفه في شرح الموقف العربي والحق الفلسطيني (Bits online/ net/ Iqbal/Interview/ asp 2/5/2014) وهو من أنصار حركة مناهضة الحرب الأمريكية على الفيتنام (Vietnam) ومن بعد هذا هو من المساندين للقضية البوسنية وأهلها ويكثر من الترحال فهو حينما في الفيتنام وحينما آخر إلى في إيران وحينما ثالث في لبنان لكي يلتقي بقيادة المقاومة الفلسطينية ويكتب أحمد إقبال بانتظام مقاله الأسبوعي في جريدة دون (Down) أي الفجر الباكستانية كما يكتب في جريدة الحياة العربية التي تصدر في لندن وفي الأهرام ويكلي (Weekly) المصرية وفي الجرائد والمجلات الأمريكية ويرأس تحرير مجلة ريس أند كلاس (Race and Class) أي الطبقة والعرق ويدرس إقبال في كلية في غرب ماساشوستس وينام ويصحى دائما على حلم إنشاء جامعة نموذجية في إسلام آباد اختار لها اسم الجامعة الخلدونية نسبة لابن خلدون يناقش ما لا يحصى من المثقفين في التدابير الخاصة بإنشائها ويفاوض السلطات الباكستانية على الأرض اللازمة لبنائها يفتح الكبار من الأكاديميين في إمكانية الإسهام في إدارتها والتدريس فيها إلى أن يداهم الموت في باكستان دون تحقيق هذا الحلم. (رضوى عاشور، 2005، ص.78). وكان أحمد إقبال دائما في قلب الأحداث وهو الناشط والفاعل وظل ممنوعا عليه الدخول إلى باكستان طيلة ثلاثين عاما ويحتوي سجله الشخصي من بين ما شمل حكما بالإعدام من المحاكم الموالية للحكم العسكري في باكستان (Bits online/ net/ Iqbal/Interview/asp 2/5/2014) ومن المفارقات المدهشة كان أحمد إقبال في الهامش على طريقة كالجندي المجهول أو كالحكيم شرقي قديم تتوارى حكمته ومعارفه الموسوعية وعطاؤه الكريم في جسد نحيل القامة وصوت خافت يخلع نعليه ويربع رجليه

على الأرض ويقدم حكمته للغير ويحتفظ بالظل لنفسه وكانت حياته كما كتب عنها إدوارد سعيد شعرا وملحمة حياة مليئة بالطواف واجتياز الحدود والعبور إلى حركات التحرر حركات المهوورين والمضطهدين والمعاقبين بلا ذنب اقترفوه سواء كان أولئك يعيشون في المدن المركزية الكبيرة أو في مخيمات اللاجئين أو في المدن المحاصرة أو تلك التي تقصف بالقنابل أو القرى البائسة في الفيتنام والعراق وإيران وأيضا بطبيعة الحال في شبه القارة الهندية. كان يملك معرفة واسعة وتفصيلية بالتاريخ سواء كان تاريخ الولايات المتحدة أو تاريخ العالم الإسلامي (Edward Said, 1999, p.15) وكان أحمد إقبال كما يرى سعيد من أكثر المحللين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عمقا وفطنة في تحليله للإمبريالية والآليات المتحكمة في الدول ذات الإرث الاستعماري في آسيا وأفريقيا (Edward Said, 1999, p.15). إن ما يمتاز به أحمد إقبال هو أنه كان رجلا شفهيًا يحاضر ويكتب المقالات في الصحف ويمنح المقابلات ويتكلم بالمشورة بلا حدود فلا يبقى له الوقت لقراءة الكتب. ما الذي أفعله؟

يرد أحمد إقبال على إلحاح إدوارد سعيد المستمر عليه لكي يجمع كتاباته المتناثرة هنا وهناك وفي كل مكان أرجوك من أجلنا ومن أجل الشباب حاول أن تضع في اعتبارك أنك فضلا عن كونك مخلوقا شفهيًا حكيمًا من حكماء المسلمين وطائرا دائم الترحال... عليك أن تتذكر أنه لا يجوز أن تترك كلماتك في مهب الريح أو مسجلة على أشرطة المحاضرات والمقابلات لابد من جمعها ونشرها في مجلدات يتسنى لكل قراءتها عليك أن تفعل ذلك من أجلنا تعد وتجمع وتندشر بما يسمح لأولئك الذين لم يتح لهم امتياز معرفتك أن يتعرفوا على موهبتك اللافتة فيعرفون أي إنسان أنت. (إدوارد سعيد، 1999، ص4).

ويضيف سعيد إن كان لي أن أحول اسمك يا إقبال إلى فعل أقول أقبل علينا أكثر لأن العالم بحاجة لك نحن بحاجة لأعمالك الكبيرة عن الجزائر وشمال أفريقيا وعن باكستان والهند وعن مقاومة الحرب في الولايات المتحدة ومعارضتها عن حركة الحقوق المدنية وعن الشرق الأوسط على الأقل نظرية متكاملة عن الكفاح الثوري للقرن الحادي والعشرين. يصعب علينا أن نصبر ولكننا سنفعل إن وعدتنا بذلك (إدوارد سعيد، 1999، ص4). وللتنبية فإن إدوارد سعيد قد أهدى كتابه الثقافة والإمبريالية الذي نشر عام 1993 في صفحة منفردة بكاملها وبعبارة معبرة إلى إقبال أحمد وقد فسر ذلك الإهداء بأن ما يفهمه إقبال ليس تجربة الهيمنة الإمبريالية في كل أشكالها فحسب

بل أيضا الرؤية المبتكرة التي تطرحها المقاومة، وكان هذا الإهداء اعترافا من إدوارد سعيد بدور أحمد إقبال في تعرفه على ذلك الجانب الآخر جانب المقاومة بما يجعله يضمنه على غير ما حدث في الإستشراق كجزء أساس من حديثه عن الثقافة والإمبريالية واعتراف ضمني أيضا بالنموذج النادر الذي يقدمه أحمد إقبال من موقع المقاومة (إدوارد سعيد، 1999، ص4).

4. إدوارد سعيد:

#### 1.4. الحياة الفكرية لإدوارد سعيد:

تدفعنا حياة إدوارد سعيد (Edward Said 1935-2003) للتوقف بعناية متأنية على مجموعة من المفارقات المختلفة. إن حياة سعيد هو الآخر مليئة بالحوازج واجتيازه للحدود الجغرافية وعبورا للمسافات وتجسيراتها من نواحي مختلفة فولادة سعيد في القدس عام 1935 لأسرة بروتستانتية ميسورة الحال ماديا كانت إقامتها في القاهرة حيث نشأ الولد إدوارد في مصر في سياق كولونيالي تلقى تعليمه في مدرسة مدرسة القاهرة للأطفال الأمريكيين في كلية فيكتوريا كوليدج وكانت أسرته تنتمي لتلك الشريحة المعروفة في تاريخ مصر المعاصر باسم شوام مصر الأقرب في وضعهم الاجتماعي إلى طبقة وسطى كبيرة متفرجة زاد من تفرنجها في هذه الحالة كون الأب يحمل جواز سفر أمريكيا. ثم انتقل الولد إدوارد في الخامسة عشرة من عمره إلى الولايات المتحدة ليدرس في مدارسها ثم جامعها الأكثر رسوخا هارفارد ويتخصص في الأدب الإنجليزي والمقارن. ويبدأ سعيد كتابه الأثير عن سيرته الذاتية بقوله تخترع جميع العائلات ابناها كل واحد منهم قصة ومصيرا. حتى عام 1967 لم يكن سعيد متسيسا وإن هزيمة العرب واحتلال أجزاء من أراضي فلسطين بعد تكبتها في عام 1948 كانت نقطة تغير في حياته ويضيف بأنه للمرة الأولى منذ وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية والإقامة فيها كطالب ثم كأستاذ جامعي وجد عواطفه تحمله عائدا إلى العالم العربي عموما وفلسطين خاصة (Edward Said, 1995, p.139).

إن حياة إدوارد سعيد كانت مختلفة تماما عن حالات فانون وأحمد إقبال في الكثير من العوامل فقد جاء وعي سعيد في سياق هزيمة العرب 1967 وفشل ثورة الطلبة والعمال في أوروبا 1968 ثم تراجع القوى الثورية المستمر على المستوى العالمي ابتداء من النصف الثاني من السبعينيات القرن الماضي. وعندما نشر كتابه الإستشراق وبدأت الحركات المعادية للعنصرية

المطالبة بالعدل والمساواة العرقية في الولايات المتحدة الأمريكية كما انتهى إضراب عمال المناجم في إنجلترا بالهزيمة وقبلها ثورة العمال والطلبة على الدولة الرأسمالية وتواطؤ المؤسسات التعليمية التي اجتاحت عددا من المدن الأوروبية، في ظل هذه الهزائم المتكررة ولدت ما بعد البنيوية بما تضمنته من إعادة النظر في كثير من مسلمات الفكر السياسي الثوري ومنه الماركسية. وكان إدوارد سعيد من مواقع ما بعد البنيوية يعيد النظر كما فعل ميشال فوكو (Michel Foucault) وجاك دريدا (Jacques Derrida) وإن بشكل مختلف في العلاقة بين ايستمولوجيا الغرب والهيمنة الثقافية، ومن هنا كان لا بد من قراءة الإستشراق كمحاولة لتوسيع المدى الجغرافي والتاريخي لسخط ما بعد البنيويين على هذه الابستمولوجيا الغربية (Leela Ghandi, 1998, p.73). وبدوافع عاطفية وإنسانية رجع سعيد إلى العالم العربي ليستخدم خبراته النقدية وروافده المعرفية المكتسبة من التراث الفكري الغربي وهي متعددة ومتنوعة لتشتمل على مفكرين أمثال فيكو (Vico) وماركس (Marx) وغرامشي (Gramsci) وفوكو (Foucault) وأورباخ (Auerbach) ويطور البعض من أفكارهم حتى ولو كانت مختلفة حيناً ومتناقضة في حين آخر ليبدع منها مزيجا فكريا خاصا به ويوظفه لخدمة معركة اختار سعيد أن تكون مساهمته فيها مركزا حول قضية التمثيل ودور الأرشيف الثقافي المعتمد على هذا التمثيل في تعزيز الهيمنة الاستعمارية وضمان استمرارها. (رضوى عاشور، 2005، ص 80).

إن هذه السياقات السياسية والفكرية التي ظهر في كنفها كتاب الإستشراق والذي انطلق منه إعجاز أحمد في اتجاه تسجيل مأخذ على عليه (Aijaz Ahmad, 1994, p.p.192-194) له دلالة أخرى ربما تفسر نجاحه الهائل والحماس في استقباله ففي الوقت الذي شهد فيه العالم تراجعا في مواقع اليسار وتقدم اليمين تمهيدا لما سوف نعيشه بعد ذلك بعقدين من هيمنة أشد القوى رجعية على العالم كله بل وفي الوقت الذي أرادت فيه ما بعد البنيوية تفكيكا تتوارى فيه قيمة التاريخ والمسعى الإنساني باتجاه الحقيقة والعدل، جاء كتاب الإستشراق وكأنه شعلة ترتفع في لحظة ينتشر فيها الظلام. في نفس السياق يرى أحمد إقبال بأن إنجاز إدوارد سعيد كناقد أدبي بدءا من كتابه الإستشراق قد وضع الإمبريالية في مركز الحضارة الغربية... وبالتالي وضع قضية التوسع الغربي والهيمنة الإمبريالية كقوى مركزية في تعريف طبيعة تلك الحضارة نفسها (Vazira Fazila Yacoobi, 2003, p.36)

## 1.1.4. التفكير السياسي عند إدوارد سعيد:

لقد قاد إدوارد سعيد معاركه السياسية والثقافية من موقعه كناقد أدبي مدرب وكخبير في قراءة النصوص وقد سمحت له قدراته المميزة وأدواته في هذا التخصص بأن يؤكد في الكثير من المناسبات في كتاباته وخاصة منها كتابه العالم والنص والناقد 1983، على دنيوية النصوص حتى عندما لا يتصدر ذلك أو يبدو واضحاً ويضيء حقيقة أنها مشتبكة مع الواقع الاجتماعي التاريخي تتشكل فيه وتؤول في إطاره وتشتبك في معاركه لتتدخل بالتأثير فيه والأهم من كل ذلك أن إدوارد سعيد نقل ساحة المعركة من النص الأدبي إلى النص الثقافي الذي يفتح باب الكلام عن علاقات القوى في العالم وفي المركز منه الحضارة الغربية وتجربتها في السيطرة الاستعمارية.

إن المثقف بتعريف إدوارد سعيد معارض بامتياز منفي بالضرورة مسافر وحيد مغترب في واقع يدفع به إلى هامش موحش، ولقد أشار الكثير من النقاد إلى أن صورة المثقف التي ينتهي إليها إدوارد سعيد في كتابه صور المثقف ليست إلا إسقاطاً لا يخلو من رومانسية لصورته هو نفسه. ولكن أحمد إقبال الذي لا يذكره في الكتاب إطلاقاً ويذكر قانون بشكل عابر ثلاثة مرات نذكر منها على سبيل المثال ما ورد لا يصح أن يكتفي المثقف بتأكيد أن شعباً ما قد سلبت أملاكه أو تعرض للظلم أو للمذابح أو لإنكار حقوقه ووجوده السياسي بل عليه أن يفعل في الوقت نفسه ما فعله قانون أثناء الحرب الجزائرية فهو الطيف الحاضر الغائب في كتاب سعيد ذاك وهو بمثابة النموذج الملهم الذي عايشه إدوارد سعيد لأكثر من عشرين عاماً هو أصل الصورة والأهم لأنه مصدر أساسي من مصادر سعيد المعرفية في تطلعه لهذا الدور والتنظير له والسعي للإيفاء بمتطلباته. كما قاد سعيد معاركه السياسية والثقافية من موقعه كناقد أدبي وكخبير في قراءة النصوص الغربية عاش أيضاً تلك المعارك بالمشاركة الفعلية والكتابة المنتظمة في الصحف والمجلات وبعمله في مجال التدريس ولكن عمله الجامع لكافة طاقاته والناظم لمشروعه هو تلك الكتابات التي وظفت أدواته كناقد أدبي مسيئراً بما يسمح بانتقال المعركة من حيز المواقع السياسية إلى موقع أساس يشتبك فيه مع التكوين المعرفي للغرب الاستعماري بما يفرزه من تمثيل مشوه للآخر. كما واجه هذا التمثيل برواية بديلة أكثر صدقاً في التعبير عن أصحابها (رضوى عاشور، 2005، ص 82).

## 2.1.4. فرانز فانون في كتابات إدوارد سعيد:

وفي مقابلة مع إدوارد سعيد عام 1985 يقارن بين كتابي فوكو الجنون والحضارة فانون المعذبون في الأرض يرى فيهما نصين من موقع المعارضة يشتركان في كشف أساليب (الإقصاء) و(التقييد) في الحضارة الغربية نص فوكو ينتهي لتقاليد الكتابة الفردية الباحث الفرد المنجز في مجاله الفكري أما نص فانون فقد أفرزه الكفاح الجماعي يرى سعيد في هذا الشأن بأنه لا يزال يعتقد بأن كتاب فانون هو الأقوى لارتكازه على جدلية الصراع وهناك التزام إيجابي في كتاب فانون غائب من كتاب فوكو. ويشير إدوارد سعيد بأن فوكو اعترف في حوار له على شاشة التلفزيون مع نعوم تشومسكي (Noam Shomsky) بأنه لا يؤمن بحقائق إيجابية أو أفكار أو مثل وهو ما لا ينطبق على فانون الذي يشكل التزامه بالتغيير الثوري والتضامن والتحرر.

وفي مقابلة أخرى لإدوارد سعيد في عام 1986 يعود سعيد من جديد لعقد مقارنة أخرى بين فوكو (Foucault) وفانون (Fanon) ويأخذ على فوكو (Foucault) أن نقده للمؤسسات الغربية (المصحة والمستشفى والجامعة والجيش...)، إلى ما فيه من تمرد ينتهي بنوع من الانهزامية والمسألة حيث لا مجال إلا لقدرة ضئيل للغاية من المقاومة فكل شيء عند فوكو (Foucault) محترم تاريخيا في حين أن إنتاج فانون قائم على إمكانية إحداث التغيير التاريخي والإيمان بقدرة المضطهدين على التحرر من مضطهدهم. وهذا الفارق تحديدا هو ما يرى فيه إدوارد سعيد مصدر القيمة في فانون حيث يرى بأن فانون لا يتحدث عن التغيير التاريخي فحسب بل كان قادرا على تحليل طبيعة الاضطهاد وأعراضه التاريخية والنفسية والثقافية وسبل مواجهته والقضاء عليه

وفي مقابلة لاحقة أجراها سعيد عام 1992 يعود إدوارد سعيد لفانون في سياق حديثه عن مرحلتين من مراحل الكفاح ضد الاستعمار المرحلة الأولى التي انتهت باستقلال الدول القومية والمرحلة التالية هي التي نعيش الآن في غمارها مرحلة تسعى إلى التحرر بمعنى أشمل من الاستقلال. ويضيف إدوارد سعيد بأن فانون ألمح لهذا فيما أسماه التغيير والتحول من الوطني إلى الوعي السياسي والاجتماعي. لم يكتمل هذا المشروع وهنا على ما أظن يكون الحيز الذي يبدأ فيه عملي. (رضوى عاشور، 2005، ص.82)

لقد كان سعيد واعيا بأنه يتطلع إلى استكمال مشروع قانون انطلاقا من الوعي بمستجدات الواقع التاريخي وخبراته وضروراته. وأما الأمر الآخر والذي دفع للإشارة لهذه المقارنات المتكررة بين فوكو (Foucault) وفانون (Fanon) فهو أن إدوارد سعيد الذي كان ينتمي بحكم تكوينه ومهنته وسياق حياته إلى ما أسماه تقاليد الكتابة الفردية أي الباحث الفرد المنجز في مجاله الفكري بقدر ما ينتمي إلى ما يمثله فانون من تقاليد الالتزام بقضية سياسية بحكم اختياره العودة إلى قضيته كان راغبا في الجمع بين التقليدين وهو مؤهلا لذلك تماما كما كان يجمع بين عمله كأكاديمي وكناقد أدبي كبير وعمله اليومي كناطق باسم الفلسطينيين والعرب إجمالا. أراد إدوارد سعيد أن يجمع بين الباحث والمثقف الساعي إلى إنجاز صرح فكري والمثقف الثوري المرتبط بقاعدة اجتماعية وسياسية يساعدها على تحقيق أهدافها. (رضوى عاشور، 2005، ص 83).

لقد كثرت إشارات إدوارد سعيد فانون في كتاباته وأعماله المختلفة ابتداء من ثمانينات القرن الماضي وهي التي كانت تحيلنا دائما لكتاب فانون المعذبون في الأرض. في كتاب إدوارد سعيد العالم والنص والناقد 1983 الذي يقتبس فيه من كتاب فانون الفقرة التي يصف فيها التناقض بين الحي العربي والحي الفرنسي في المدينة الكولونيالية وهناك إشارة لمفهوم فانون عن العنف المضاد للعنف الكولونيالي في مقالة موسومة بعنوان السياسة المثقفون ضمنت لاحقا في كتاب سعيد سياسة الاقتلاع. (Edward Said, 1994, p.13) وكذلك ترد الإشارة إلى كتاب المعذبون في الأرض في مقال لإدوارد سعيد بعنوان تمثيل المستعمر الجانب المقابل في خطاب الأنثروبولوجيا. هذا ويشير كتاب إدوارد سعيد صور المثقف لفرانز فانون (Frantz Fanon) وإيميه سيزار (Aimé Césaire) وسي. إل. جيمس (C. L. Jeams) بوصفهم ثلاثة من كبار المثقفين السود المعادين للإمبريالي أما في كتابه الثقافة الإمبريالية 1993 حيث يصف سعيد كتاب فانون (المعذبون في الأرض) بأنه كتاب هجين فهو جزئيا مقالة وجزئيا قصة متخيلة وجزئيا تحليل فلسفي وجزئيا تاريخ حالات نفسية وجزئيا حكاية رمزية. ثم يفرد سعيد في صفحات أخرى من كتابه الثقافة والامبريالية في فصله الثالث (المقاومة والمعارضة) وبصفة أخص في المبحث الثاني المتعلق بموضوعات ثقافة المقاومة والمبحث الرابع الخاص بالرحلة إلى الداخل وبزوغ المعارضة وفي المبحث الخامس الذي يتناول فيه مسائل التعاون والاستقلال والتحرر كما يناقش سعيد في هذا الفصل قضية العنف الثوري لدى فانون. ويبدأ سعيد ذات الفصل بمقولة إيمي سيزير (Aimé Césaire) "شديني بذراعيك الرحبتين إلى

الطين اللألاء" وهي مقولة مقتبسة من كتابه الشهير (دفتر عودة إلى مسقط الرأس) حيث سيلتقي الجميع هناك في ساحة للنصر.

خاتمة:

وصفوة القول فإن أفكار كل من فانون وإقبال وسعيد نضجت في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا بعد مخاض عسير وهم الدين وضعوا نصب أعينهم قضية تحرير أوطانهم من الاستعمار عن طريق التخلص النهائي من وجوده بالمقاومة الثقافية التي لا تسمح بالارتداد ولا تبقي على علاقة مفتوحة مع المستعمر وقد استمدوا ذلك من تحليلاتهم الفكرية السياسية والاجتماعية المعادية للاستعمار المتمركزة حول تشويه هويتهم من طرف المحتل الذي ينبغي أن يخرج من بلادهم إلى غير رجعة. أو بالكفاح مع الاشارة بأنهم من الذين يبنذون العنف والانحراف الإنساني ويأخذون بعين الاعتبار المراحل المميزة لسيرهم الفكرية والسياسية ومؤثراتها الفلسفية والاجتماعية التي حددت مساراتهم وتفصيلات حياتهم ونضالهم في حركات التحرر في العالم المضطهد والمقهور والمغلوب على أمره. ويشدد المفكرين الثلاثة على دور المثقفين في تحرير الأوطان من وطأة الاستعمار وتطوير الوعي الوطني لدى الشعوب المستضعفة حتى تتبدد المفاهيم التي غرسها الكولونيالي في تلك الشعوب أينما كانت. إنهم رجال ظلوا دائماً في قلب الأحداث وكثيراً ما جلبت لهم مواقفهم الاستهجان والعزلة.

ومن أبرز النتائج المستخلصة من هذه الدراسة وجوب تبات المرء على موقفه ما دام على الحق والمعرفة اليقينية لتاريخ وأمجاد أمته حتى لا يضل ولا يضل عن جادة الصواب. كما ينبغي على الانسان أن يطالب بحقه المهضوم ولا يخشى لوم اللائم ويعمل على تحرير الإنسان كإنسان بغض النظر عن الجنس والعرق.

ما يمكن اقتراحه في ختام هذه الدراسة هو أنه ينبغي على الفرد أن يطلب المعرفة لذاتها ليس إلا والبحث عنها والاهتمام بها وبذل الجهود لنيلها مهما كانت الصعاب ثم يجب ايصالها للغير حتى تعم الفائدة وتتم الاستفادة الجماعية منها ويعم الخير ويحصل التغيير الاجتماعي الايجابي.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. رضوى، عاشور. (2005)، فرانتز فانون، أحمد إقبال، إدوارد سعيد، مجلة البلاغة المقارنة، العدد 25.
2. Franz Fanon (1970), A Dying Colonialism, Trans Haakon Chevalier Hammond, Worth; Penguin Books.
3. David Macy (2001), Franz Fanon: A Biography (NY: Picador).
4. Bits online/ net/ Iqbal/ biography/ asp (201 4/2/7) ملخص لسيرة أحمد إقبال
5. Bits online/ net/ Iqbal/ Interview/ asp (2011/5/2) مقابلة لأحمد إقبال
6. Edward Said (1999), "A True Struggle, a Good Man", Al Ahram Weekly (May 9).
7. Edward Said (1995), the Politics of Dispossession NY: Vintage Books.
8. Leela Gandhi (1998), Postcolonial Theory (NY: Columbia UP).
9. Aijaz Ahmad (1994), In Theory: Classes, Nations Literatures (London: Verso).
10. Vasira Fazila yacoobali (2003), "Edward Said and Eqbal Ahmad: Anti Imperialist Struggle in a Post Colonial.
11. Edward Said (1994), the Politics of Dispossession NY, Vintage Books.